تفريغ محاضرة رقم (٢)

- دورة قضية الولاء والبراء (الدورة المكثفة) -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،،

هنكمل رحلتنا مع قضية الولاء والبراء على منهج الأمة الوسط؛ أهل السنة والجماعة، دون غلوٍ ولا جفوٍ، مؤتسين بأوامر الله وهدايات السنة النبوية، وتفاسير أئمة السلف الكرام رحمهم الله تعالى، والعلماء الأعلام.

هنا هنتكلم عن معاني الموالاة وصور الموالاة، يبقى عندنا معاني وصور، يبقى هنا البحث كله عبارة عن قسمين بس؛ معاني وصور.

هتفهم المعنى العام، وتفرق بين المعنى اللي عليه الكلام، والمعنى الغلط اللي عندك، لإن أنا واثق تمامًا أن قطاع كبير جداً من الإخوة حتى وإن كان يعرف المدارات العامة للولاء اللي هي المحبة والمودة والنصرة والطاعة والقيام بالأمر، مش عارف يميز بين المقصود الشرعي وبين المعهود الطبعي، اللي هو عهده هو متعود كده، هو لما سمع درس الولاء والبراء كان عنده تصور في العلاقة بالنصارى، قام ساحب الأدلة على التصور اللي في دماغه، وراح يشرعن هذه التصرفات تحت دعوة: أنا دارس الموضوع كويس، هو مش دارس الموضوع ولا كويس.

فهنا عندي أول معنى من المعاني بيقول هنا: جاء في لسان العرب؛ المعنى العام بقى، الموالاة كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر إثنان فيدخل ثالثٌ بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوىً فيواليه أو يحابيه، ووالى فلانٌ فلانًا إذا أحبه.

والمولى إسم يقع على جماعة كثيرة من المعاني، فهو الرب والمالك والسيد والمُنعم والمُعتق، والناصر والمُحب والتابع والجارِ وابن العم والحليف والحفيد والعبد والمُعْتق، والمُنْعم عليه، والموالاة ضد المعاداة، والموالاة المتابعة، دي معاني لغوية.

قال صاحب المصباح المنير: الولي فعيل؛ ده زنة صرفية يعني، كلمة ولي على وزن فعيل، الولي فعيل بمعنى فاعل، من وليه إذا قام به، يقال: المؤمن ولي الله، يعني إيه؟ يعني أنه مطيع لله عز وجل، يبقى الولاية هنا بمعنى الطاعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، ويتضح بما ذكرنا أن أكثر المعاني تدور حول:

١- الحب.

٢- النصرة.

٣- القيام بالأمر.

واحد اثنين ثلاثة اللي هي دي خلاصة المعاني التي سمعناها في التعريف اللغوي والتعريف الشرعي لمعنى الموالاة.

ويتضح بما ذكرنا أن أكثر المعاني تدور حول الحب والنصرة والقيام بالأمر، ولوازم ذلك كالطاعة والمتابعة والمعاونة والصداقة والتشبه ونحو هذا، وإليك تفصيل هذه الأحكام:

أولًا: المعنى الرئيسي في الموالاة هو الحب والمودة.

قال تعالى: (لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...) الآيات، وقال رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب).

والسؤال الآن: ينفع تحب واحد نصراني؟ الجواب المتبادر إلى السامعين: لأ طبعا، علشان أنا ما ينفعش أكون بحبه، لإن النبي قال: (المرء مع من أحب) والنصراني في النار، فلو أنا أحببته يبقى أنا معه، يبقى في النار، وربنا بيقول: (لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد ورسوله)، ينفع يكون بيني وبين الكفار مودة؟ الجواب: لأ.

طيب ما هو ربنا سبحانه وتعالى؛ سؤال: ألم يبح الله عز وجل لنا نكاح النساء الكتابيات، ينفع تتجوز واحدة نصرانية؟ طيب وينفع تتجوز واحدة يهودية؟ أه، وربنا قال في جميع الزوجات: (وجعل بينكم مودة ورحمة)، ينفع تقول لمراتك النصرانية: أنا بحبك؟ الجواب: نعم، طيب والمرء مع من أحب، ما هو اللي مش فاهم المسألة، كان بيقول لها:

علشان إنك أنت أنكوي بالنـــار وألقـــح جثتـــي

وأدخل جهنم وأنكوي وأصرخ وأقول يا لهوتي

يعني هيروح وراها النار برضو، ما هو دي المحبة العمياء، إن هو خلاص زي تروح بقى تروح، زي ما توديني بقى، يعني زي ما توديني بقى أنا معكِ في أي حتة، لأ طبعًا، المسلم معها في حتة أه وفي حتة لأ، منين بس؟ أيوة ما هو أنت لو فهمت أن المعنى هنا قاعدة في المحبة والمودة، إكتب يا حسين لازم أكتبها لك على السبورة لإن فعلا الإخوة بتخطئ في هذا الباب خطأ بَيِنًا.

أول مفاجأة؛ قاعدة في المحبة والمودة؛ هنقول اللي يعني اللي هيسري على المحبة هيسري على المودة، هنقول المحبة قسمان، إيه القسمين؟ طبعية وشرعية.

لو فهمت التفصيل ده هتبقى أنت حطيت رجلك على أول عتبة في فهم قضية الولاء والبراء مع جواز معاملة غير المسلمين كالزوجات بالمودة والمحبة أيضاً، والميل الجنسي إليها والتصريح بمحبتها، تمام؟ وكذلك إن كانت أمًا كافرة أو أباً كافرًا أو إبنًا كافرًا أو نحو ذلك من الأشياء، لو عرفت تميز بين المحبة الطبعية والمحبة الشرعية هتنحل لك إشكالات كثيرة جداً جداً.

بنقول: المحبة الطبعية هي مجرد ميل الإنسان بقلبه إلى شيء يأنس إليه ويرتاح إليه، اللي هو غالباً بيقع في دائرة الحب من أول نظرة كده، يقول: أنا بصيت كده لقيت نفسي رايح كده، أه أهي رايح كده دي هذا ميل طبعٍ، لأن أنت ما شوفتوش قبل كده، لا شوفت أخلاقه، ولا شوفت تصرفاته، ولا شوفت يعني بيعه وشراه ولا سره ولا، إنما في حاجة كده عجبتك فيه، مالَ إليها طبعك، كده تمام؟ طيب.

لو نظرت إلى إمرأة حسناء لا تحل لك، ومال إليها طبعك، الواجب الشرعي يعمل إيه؟ سُئل النبي ﷺ عن نظر الفجأة، أنا شوفت حاجة كده عيني خطفتني الناحية دي، (إصرف بصرك)، يبقى أنا لا أنساق خلف داعي الطبع بما يخالف داعي الشرع، بس من الأساسي أنا مفرق، فيبقى أنا عندي محبة طبعية وهي أجناس، الطبيعية نفسها أجناس.

هنقول هنا: ومنها محبة الجنس بين الزوجين، دي محبة طبعية.

ومحبة العاطفة، بين الأباء والأولاد، أو بين الأباء والأبناء.

ومحبة اللذة في المأكول والمشروب.

ونحوها من محبة الألوان، كاتبينها لك بالألوان أهيه عشان تأخذ بالك منها، والأجواء.

يبقى أنا عندي المحبة الطبعية زي محبة الجنس بين الزوجين، ومحبة العاطفة بين الأباء والأبناء، ومحبة اللذة في المأكول والمشروب، ونحوها من محبة الألوان والأجواء، يعني واحد بيحب اللون الأزرق، واحد بيحب اللون الأحمر، واحد بيحب اللون الأسود، واحد بيحب اللون الأبيض دي، ميول طبعية، كل هذه الأنواع من المحبة لا تأتي بها أحكام التكاليف الشرعية، يعني ربنا ما يقولكش حب مراتك بدرجة كذا، لأ ده شيء هو الرتبة بتيجي لوحدها، أنت لا دخلك فيها.

ولذلك أُثر عن النبي ﷺ وإن كان في إسناده مقال، لكن المعنى صحيح، أنه ﷺ كان يعدل في القسم بين نسائه، يبيت عند كل واحدة زي بعض، لكن مش كل واحدة بيبيت عندها بيأتيها إتيان الرجل لإمرأته، ليه؟ لأنه لا يشتهيهن بدرجة واحدة، صح ولا إيه؟ كانت أحب النساء

إليه من؟ عائشة، تمام؟ ولما كان النبي ﷺ مرض في مرض الموت كل ما يبات عند واحدة يقول: (أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟) يعني عايز يروح عند عائشة، فراعينا ميل طبعه إليها رضوان الله عليهن، فكلهن تنازلوا إن النبي يبقى عند عائشة، ومات عند عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها على صدرها، ده ميل طبعي، ده شيء ربنا غرسه في قلبه.

ولذلك أُثر إيه؟ أنه كان يقول: (اللهم إن هذا قسمي فيما أملك)، إن أنا حابيت عند كل واحدة زي الثانية، (فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك)، وهو ميل الطبع إلى هذا النوع من النساء، الميل الجنسي إلى المرأة، إلى الزوجة الحلال، تمام؟

فهنا بنقول: الميل الثاني أو النوع الثاني هو محبة برضه؛ محبة العاطفة بين الأباء والأبناء، يعني الولد اللي بيحب أبوه بيحبه ليه؟ في عاطفة بينه وبين أبوه، تمام؟ ممكن تبقى ممزوجة بالتوقير والإحترام، وبالعكس يبقى الأب بيحب إبنه محبة عاطفة بس ممزوجة بالرحمة والشفقة، يبقى تطلع لفوق توقير وإحترام، تنزل لتحت رحمة وشفقة، وكلها عاطفة أو محبة عاطفة.

محبة الملذوذ إن أنت بتحبه لكي تستهلكه، مش لتبقيه، يعني واحد بيحب اللحمة بيحب أكلها فبيوفيها، يتلذذ ببلعها وأكلها ومضغها، يحب الفاكهة المعينة، بيحب مثلاً المشروب المعين، الساخن من الإيه؟ من البارد، أو البارد أحسن من الساخن، السادة أحسن من المُسَكر، ودي كلها أشياء طبعية، لا يأتي الشرع بها، الشرع ما يقولكش يا أيها الذين ءامنوا أحبوا السكر الزيادة وإكرهوا مثلًا القهوة السادة، مش كده ما لا يأتي به الشرع، لأنه تكليف بما لا يملكه الإنسان، لا يملكه الإنسان.

وربنا ما يجيش مثلًا يقول لنا: يا أيها المسلمون إلبسوا يونيفورم واحد لونه أزرق مثلًا أو أبيض لأ، النبي قال: (إلبسوا من ثيابكم البياض، وكفنوا فيه موتاكم فإنه من خير ثيابكم)، ده ترغيب مش أمر، تمام؟ ولذلك الإنسان يلبس أبيض، يلبس أزرق، يلبس أحمر، ما لم يلبس منهيًا عنه بخصوصه، تمام؟

فهنا بنقول دلوقتي: لما تيجي هنا حتى التمييز بين أنواع المحبة الطبعية هتنحل عندك إشكالية، مراتك تيجي تقول لك: بتحبني أنا أكثر ولا أمك؟ هتجاوب تقول لها إيه؟ السؤال غلط أصلاً، يعني لا مورد للسؤال، أنا أحبك محبة طبعية من نوع العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى، دي أنتِ ما لكيش شريك فيها، ما ينفعش أمي تيجي الناحية دي، وأحب أمي محبة الولد لأمه والأم لولدها، أنتِ ما ينفع تيجي في الحتة دي، فيصطلح كل فريق على حقه، أنا ولا أمك؟ أنتِ في حتة وأمي في حتة، ما بتقابلوش بعض، ما فيش نقطة تقاطع أصلًا، واضح الامر؟ أنا أحبكم أنتم الإثنين في الله لكونك مسلمة ملتزمة وهي مسلمة ملتزمة، أنا أحبك أنتِ أكثر في الله منها لإنك أطوع لله منها، أنتِ سنية وهي مثلًا شيعية أو أنتِ مسلمة وهي كافرة أو العكس، يبقى هنا التفريق ييجي فين؟ في محبة الشرع مش في محبة الطبع، لإن ده نوع وده نوع.

إثنين ضراير بقى ممكن يسألوك أنا ولا فلانة؟ لإن الدرجة واحدة، فهنا ماشي، يبقى السؤال له مورد، وفي الحتة المزنق دي الشرع أجاز الكذب، أنتِ ما فيش غيرك، وأنتِ الحب الأولاني، وأنتِ أم العيال، وأنتِ الجيل الأول إلى آخره، ده ما حدش مستسلم أبدًا في الحتة دي.

طيب يبقى هنا بيقول له: يا واد بتحب أبوك أكثر ولا اللحمة؟ قال له: دا الشربة برقبته، ما هي إجابة صحيحة، أصل الأب ما بينشربش ولا بيؤكل ، ما السؤال غلط، ها!

فهنا يبقى هنا محبة الألوان والأجواء، أنا بأحب الحر، أنا بأحب السقعة، بأحب الهواء، بحب العفرة، بأحب الشغل والإجهاد، بأحب الراحة والنوم، دي أجواء، لا يأتي الشرع بهذا.

إنما محبة الشرع هي محبة التكليف وهي داخلة في قدرة المُكلف، زيها بالظبط زي (أقيموا الصلاة) و(آتوا الزكاة)، (إشربوا)، (كلوا)، (لا تسرفوا) أو (كلوا وإشربوا ولا تسرفوا)، تَرِد عليها التكاليف لأنها مقدورة، حِب حاضر، إكره حاضر، على طول كده؟ اه على طول كده، يُجَلي لنا هذا المشهد حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من والده وولده والناس أجمعين)، فقال عمر:

والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من ولدي ووالدي والناس أجمعين إلا من نفسي، قال: (لا يا ابن الخطاب، حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبي)، فقال عمر: (الآن يا رسول الله أنت أحب إلي من نفسي) قال النبي: (الآن يا عمر)، الجواب إستغرق قد إيه؟ ثواني، عمر غير رأيه كده بسرعة؟ هو ما غيرش رأيه، لا هو فهم المطلوب، أجاب عمر في أول الحديث على مقتضى الطبع، طبعه بيقول: إن هي نفسه أولى عنده من غيره، مقتضى الطبع، إنما لو حصلت ممايزة أيهما أبقى وأيهما أولى وأيهما يُقدم؟ رسول الله أم نفس عمر؟ على طول ما فيهاش فِصال، فداك أبي وأمي بل فداك نفسي، أنت الأولاني وكله تحت رجليك، تخلص المسألة، هذه محبة الشرع، يبقى عمر أجاب بمقتضى الشرع في الجواب الثاني، اللي هو حِب؛ حاضر، إكره؛ حاضر.

ولذلك كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ بينه وبين أخيه من العداوة والبغضاء ما الله به عليم قبل الإسلام، زي الأوس والخزرج، نار على بنزين ما بيتجمعوش أبدًا، وأول لما أسلموا لله عز وجل وبقى فيه أنواع جديدة من المحبة الشرعية خلاص بقوا إخوة، وبقى المهاجرين والأنصار، وميثاق الإخاء اللي التاريخ ما سمعش بزيه أبدًا تحقق بسرعة جداً، لإن النبي حل لهم إشكال مسألة المحبة.

ولذلك تجتمع المحبة الطبعية أو الكراهة الطبعية مع المحبة الشرعية، وتجتمع الكراهة الشرعية مع المحبة الطبعية، إذا عرفنا إن المحبة قسمان كان الناتج.

يبقى هنا ينتج من هذا التفصيل صحة إجتماع المحبة الشرعية مع الكراهية الطبعية، ومثاله في القرآن نصًا، من أيوه أحسنت، دليله: (كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم).

طيب المسلم يحب ما يحبه الله عز وجل مما إفترضه الله، قال الله عز وجل: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما إفترضته عليه)، وهنا (كُتب عليكم) بمعنى فُرِض عليكم، يبقى أنا أحب ما أحبه الله من فرضية القتال شرعًا؟ أه، وأكره الموت ومفارقة الحياة طبعًا؟ أه، فيه إشكال؟ ما فيش إشكال، يبقى هنا أحب من وجه، وأكره من وجه، من جهة الشرع أحب الموت في سبيل الله، "والموت في سبيل الله أسمى أمانينا"، أمنية، رجاء، مطلب شرعي،

محبة شرعية، لكن في نفس الوقت لو أقدر أنتصر على الأعداء وأفضل صاحي طب ما ده أحسن.

ولذلك عمر لما مَايز بين موت المسلمين في طاعون الشام، وبين رجوعهم سُلام، أو أن هم يعدوا من الطاعون ويموتوا قتلى بأيدي الإيه؟ أعداء الله، ما قالش ما هي كلها موتة، لأ لإن الموت في سبيل الله في الجهاد مش مقصودًا لذاته، إن أنت ما أنتش رايح تموت، أنت رايح تقاتل وتحقق النصر، فإن لم يحصل إلا بالموت مُت، إنما الطاعون هتعمل فيه إيه؟ رايح تموت وخلاص يعني مُوت وبس، ما فيش إحتمال نجاة، يعني موت بالجملة من غير تحقيق أي مصلحة، إنما في الجهاد ممكن إما النصر وإما الشهادة، واللي هيموت منا مش هنموت كلنا، ولو كان فيه موت كلنا بنسبة مائة في المائة زي الطاعون يبقى لا يجوز أن إحنا نقاتل، وده اللي عامله خالد بن الوليد في الغزوة، لما لقى أن الناس هيروحوا يموتوا بس، راح لامم كل الجندي وراجع، ويتسمى مهزوم أحسن ما يسمى مقتول معدوم، كل جيش مات يبقى أنت ساويت بين الجهاد والطاعون؟ لأ ما ينفعش، عقلية القيادة الإسلامية بتقول غير كده، انحلت إشكالات.

فإحنا عايزين ندرس الولاء والبراء على أرض، يعني نربط بقى الدنيا ببعضها، إنما الأخ يقول لك: أصل أنا درست الكلام ده قبل كده، أنا عارف قرأته ماشي، سمعت نسخة مسجلة من الكتاب ماشي، إنما تربط وتفهم وتحلل وتعيش مع الموضوع، هو ده اللي إحنا بنعمله بقى، ده اللي إحنا عايزينه معك، عايزين نأخذ بأيدين بعض ونعيش القضايا المنهجية دي على أرض الواقع ونطبق.

يبقى هنا ينتج عن ذلك التفصيل صحة إجتماع المحبة الشرعية مع الكراهية الطبعية ولا أي إشكال، وعكسه، والعكس.

هنقول هنا: والعكس، يعني إيه العكس؟ اللي هو إجتماع الكراهية والبغض الشرعي، مع المحبة الطبعية، فين مثاله؟ كثير جداً؛ محبة الزوجة النصرانية، أنا أحبها كإمرأة، أحبها كأنثى، أشتهيها بأنثى، أقول فيها شعر، وأقول لها أبوح بأسرار حبي كلها، وأكرهها لكفرها،

وأكره تثليثها، وأكره شركها بربها، ما حدش يعرف يعمل المعادلة دي جوة قلبه غير واحد فاهم يعني إيه ولاء وبراء؟

عشان كده جمهور أهل العلم قالوا إيه؟ بكراهية نكاح المسلم للكتابية مع الصحة، يعني نكاح صحيح لكن يكره، ليه؟ لإن المعادلة صعبة، ومش كل مرة تسلم الجرة، وناس كثير مش فاهمة يعني إيه ولاء وبراء؟ ممكن يجروا محبة الطبع إلى محبة الشرع، لإن محبة الطبع دي إحنا قلنا زي الجنسية بين الزوجين والمحبة التعاطفية بين الإيه؟ الأولاد والوالدين، تمام؟ المحبة الشرعية اللي هي الرضا بما عليه من عقل وفكر ودين وفعل وأخلاق.

يبقى محبة الشرع تقتضي الرضا بما عليه، تمام؟ تقتضي الإلتزام، تقتضي الطاعة، تقتضي القيام بالأمر، تقتضي نصرة الفكرة أو العقيدة، دي محبة الشرع، فهل أنت مطالب إنك تحب زوجتك النصرانية محبة تقتضي الإقرار بما هي عليه من الكفر؟ لأ، المودة والرحمة اللي ربنا جعلها بين الزوجين مسلم ونصرانية تقتضي أن أنت تقوم بأمرها من عبادة الصليب، لو قالت لك: عشان خاطري أحسن هأزعل، صَلِب ولا أسجد للصليب ده أحسن هسيب لك البيت وأمشي! لأ ما تقتضيش ذلك، تقتضي أن تأذن لها أن تربي أولادك وأولادها على ملة أبائها وأجدادها علشان أم العيال ما تزعلش، وهي أمهم برضه مش غريبة، خليها تأخذهم الكنيسة وتنصرهم، ده برضو مرفوض، تمام؟

طيب يجوز للرجل المسلم إذا نكح إمرأة نصرانية فإستأذنته للذهاب إلى الكنيسة أن يأذن لها؟ أه، طب يوديها؟ فيه خلاف والراجح أه يوديها الكنيسة ويستنى على ما تخلص القداس ويأخذها وهو ماشي، ويروحوا مع بعض، تقدر تتجوز واحدة وتحافظ على توحيدك وولائك وبرائك، وأنت بتعمل كده؟ تقدر ماشي ما تقدرش بلاش.

عشان كده النبي قال لك في المسلمة: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فما بالك اللي ما لهاش دين أصلًا؟ يبقى أولى ثم أولى ألا تنكحها.

يبقى فيه فرق بين الجواز وبين الإيه؟ الأولوية والترجيح، يعني هو يمشي يعني ما هوش زنا، يعني ما هوش نكاح باطل، إنما مش دي المطلوبة، دي المطلوبة مسلمة ودينة، ليه؟

لإن أنت طول النهار بره البيت وهي اللي هتربي العيال، فشوف هتنتج لك أنهي نموذج؟ كادت المرأة أن تلد نفسها، كان زي ما شيوخنا بيقولوا كده، ما هي إقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها، كادت المرأة أن تلد نفسها، يعني كإنها بتعمل إستنساخ كده، ليه؟ ده طبع، هو الطباع سراقة، هي دي جينات بتتنقل من لحمها ودمها بتروح لبنتها، وقاعدة معها ليل ونهار ونهار وليل، ولما تيجي تتمشى برضه هتبقى قاعدة جنب أمها، ده طبيعي، فأنت دور لبنتك على أم قبل ما بنتك تيجي، ده من الأساس، فعشان كده النبي قال: (فإظفر بذات الدين تربت يدك).

يبقى تجتمع الكراهية والبغضاء الشرعية مع المحبة الطبعية؟ أه.

وتيجي فين كمان؟ فيما يأتيه الإنسان من المعاصي التي يشتهيها بطبعه، ويكرهها بشرعه، يعني واحد بيحب التفاح، دايمًا المثال ده أنا بضربه، وهو بيشم ريحة التفاح من هنا ودماغه تطير، بيحب تفاح جداً، وبعدين هو على قد حاله، والأسعار في السماء وما يعرفش مش لاقي يأكل، وخلاص طلبت معه تفاحة، فنفسه عمالة تراوضه على تفاح قام سارق تفاحة، سرق تفاحة وبدأ إستخبى وبدأ يأكلها، لونها أحمر ولا أصفر وبيقطم، يا ترى عشان هي حرام هيلاقيها في بقه لفت؟ ده الحرام ما لوش طعم، ده كلام ده أنت بتنُفر به، عشان ما يعملش الحرام، إنما اللي لسانه بيترجمه له، الطعم ده إيه؟ خيار ولا مخلل؟ لا تفاح ومسكر، وريحته حلوة ولا وحشة؟ أيوه بمقتضى الطبع أنا شامم ريحته الحلوة التفاحة اللي بيحبها، ولونه الجميل اللي بيخطف قلبي، وطعمه اللي هاوسني، لكن أنا ضميري متأنب ومزاجي متعكر، لإن أنا عارف إني حرامي، مع بعض، يعني حتى مش متهني على هذه اللذة، وهذا فرق بين معصية المسلم ومعصية الكافر.

ما هو الكافر بيمارس حق مكتسب، يعني هو بيزني بإمرأة يشتهيها، الكافر ما فيش أي حاجة معكرة عليه، هو بيمارس حقه عادي، لا هي زهقانة ولا زعلانة ولا هو مضطرب ولا حتى الناس اللي مستخبي منهم عندهم ريحة الدم، الموضوع عادي جداً لو طلعت في الشارع هنمروح عليك من الحر ما عندهمش مشكلة، إنما المسلم لو وقع في نفس الجريمة،

وهو في ذروة شهوة الزنا برضه مزاجه متعكنن، وفيه حاجة معكرة عليه صفوه، المعصية ألا وهي إعتقاد الحرمة، هي دي التكة اللي فارقة، لو راح دي ودي شعرة ماسكة إيمانه على شعرة لو إنقصت كده بالسلامة.

(إذا زنا المؤمن فارقه إيمانه كما يفارقه الثوب)، أو (نُزع منه الإيمان كما يُنزع الثوب، فإذا عاد أو إذا نزع رجع إليه إيمانه)، يدوبك على فتلة كده.

فهنا تقدر تحل إشكالية بقى متلازمة إزاي المسلم المؤمن بحرمة هذه المحرمات؟ وبأن الله عز وجل يبعث الناس يوم القيامة،(وأن الله يبعث من في القبور) وحسابه وعقابه جنة ونار، وبرضه بعمل المعصية؟ أه عشان إيماني ضعيف، لو كان قوي ما كانش خلاني أقع في المعصية، ما كانش خلاني أفكر في المعصية، كان وصلني لدرجة النفور من ذكرها، ودي مستويات.

لكن بعض الناس أه ما كل حاجة حرام، يعني تجار المخدرات مش عارفين أن المخدرات حرام؟ عارفين، وهو قايل أنا ما بفوقشي، ولما تيجي تكلمه يقول لك: أنا عارف ربنا يتوب علينا يا عم الشيخ، أهي سكة بقى وده إحنا مكملين فيها في الأخر بقى ويا عالم هنموت إزاي؟ وهو متعكنن مش مبسوط، وعمال يأخذ مخدرات عشان يسكت وازع الإيمان في قلبه، عشان ما يقعدش يزن عليه ويعكر عليه، فدي هتحل لي إشكالية كبيرة جداً جدًا في باب المحبة.

فما فيش مانع أبدًا أنني أحب من الكافر شيئًا محبوبا بمقتضى الطبع، قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)، قال: أهما في أم تخلقت بهما؟ قال: (بل جبلك الله عليهما)، أتخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال: (بل جبلك الله عليهما)، سؤال: كون إن النبي يقول لأشجع عبد القيس: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله)، ربنا كان بيحب الحلم والأناة التي جُبل عليها أشج عبدالقيس قبل ما يسلم وبعد ما يسلم ولا بعد ما يسلم بس؟ الخُلق من قبل وبعد هو محبوب إلى الله لوحده كده، لكن أنا مش عارف أتصوره مفصول، هو جوه الأشد، فالأشج كافر لكن يُحَب حلمه، يُحب منه أناته.

ونفس المسألة دكتور نصراني شاطر قوي، وبصراحة داخل دماغي وعاجبني، وهو ده بصراحة المتخصص في المسألة، وأي دكتور مسلم كل النماذج اللي قبل كده ضعاف جداً بالنسبة لهذه الخبرة، ينفع أقول للناس يا جماعة الدكتور النصراني ده أولى من الثاني؟ أه طبعًا، لإن المصلحة في النهاية عايدة على مين؟ على المسلمين، شوفت المسألة، يقول لك: لا نصراني! ده أنا أروح أدوس على رقبته، ده أنا هروح أولع له في العيادة، أنت مش فاهم حاجة بقى، أنت ما أنتش فاهم حاجة، أنت كده ده مش ولاء وبراء، ده شغل بلطجة ده، ده بعيد كل البعد عن العلاقة الشرعية في هذه المسائل.

يبقى هنا المحبة قسمان: طبعية وشرعية، وينتج عن هذا التفصيل الذي ذكرناه أنه قلنا: محبة الطبع، ولذلك عشان الحتة دي طويلة معلش بتستهلك مني دائمًا في الولاء والبراء حلقات طويلة، لما تشوف أخ من الإخوة ويحصل بينك وبينه إستلطاف كده، وتروح قايل له: أنا بحبك في الله، لأ أنت إستعجلت، أنت ملت إليه بطبعك الأول، لإنك لا شوفت منه خير ولا شر، ممكن يكون مثلًا شكله عجبك، ممكن يكون عمل موقف مثلًا كده دخل دماغك، يعني الدماغ لفة على الدماغ، يعني قريبين من بعض، ده إسمه ميله طبعٍ بس، يعني كده جاءت على الهوا سوا يعني، إنما حب في الله هو أنت شوفت طاعته فين؟ يقول لك: أنا ما شوفتوش غير في طاعة الله، ماشي، حبه في الله للصبح، لم أره إلا قائمًا ساجدًا، لم أره إلا خطيبًا بارعًا، لم أره إلا فارسًا مقاتلًا، لم أره إلا داعيًا صابرًا، لم أره إلا متصدقًا، شوفت الخير اللي فيه، فبأحب ده لله، هو ده اللي جذبني له، مش شكله ولا طوله ولا عرضه، صح؟ إنما الأخ فلان أنا بحبه في الله قوي، لما ببص له كده بستريح، لأ ده مش حب في الله يا حبيبي، ده حب في أي حاجة ثانية ما عدا في الله.

يبقى أنت لازم تصحح يعني إيه مشاعرك؟ إن مش أي ميل وإي إنجذاب لأي حاجة تتسمى حب في الله حتى ولو كان لشيخ الإسلام اللي أنت ما شوفتش منه حاجة لسه.

فعشان كده أنا كنت عامل محاضرتين إثنين؛ واحدة إسمها الأخوة الروتينية، وواحدة اسمها: اللزقة، علاج مشكلة الميل الطبعي المجرد اللي يصل إلى حد العشق الحرام بين الأشخاص،

دي كانت المحاضرة إسمها اللازقة، إن أنت مش بتحبه في الله أنت لازق له، والحب في الله مش لازقة، والمحبة الروتينية أن أنتم بتحبوا بعض في الله بس ميري ناشف، لأ برضو عايزة تتزيت شوية عشان، فإحنا عملنا معادلة، عملنا محاضرة الأخوة الروتينية، ومحبة اللزقة، رجاء تسمعوها يعني، عشان هتقرب مفاهيم ثانية، طيب نرجع لكتاب ثاني، شكلكم فاهمين كده.

يبقى إحنا قلنا أول معنى من معاني المودة أو الولاء المودة والمحبة، وقلنا مهم جداً قبل أن نشرع في دراسة هذا الباب عشان نعرف إحنا هنسحب الأدلة على أي نوع، أن المحبة قسمان: محبة طبع ومحبة شرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكرهه بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله فهذا نوعٌ من الهوى، أنا بحب الحاجة الفلانية عشان جاية على كيفي، بحب الشيخ فلان عشان بيهاودني، بحب الأخ فلان عشان طوع، اللي أنا بقول له عليه يعمله، صح أو غلط، هذه محبة هوى، مذمومة مش مقبولة، ما تسحبش عليها ولا دليل من أدلة المحبة في الله.

قال: فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، فهذا نوع من الهوى، فإن إتبعه الإنسان؛ يعني مشي وراه وكمل من ورا الأوردرات بتاعته فقد إتبع هواه، (ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدىً من الله).

وقال أيضاً: إن الله سبحانه بعث الرُسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، ويكون الحب لأوليائه ويكون البغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه، والإهانة والعقاب لأعدائه، وإذا إجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وطاعة وفجور، وسنة وبدعة، الراجل الميكس ده أعمل فيه إيه؟ أحبه ولا أكرهه؟ بقانون المحبة الشرعية اللي هي حب حاضر إكره حاضر، اللي هي مقدورة للإنسان زي قدرته على القيام والقعود والركوع والسجود، إستحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، وإستحق من المعاداة بقدر ما فيه من الشر، يبقى

الناس مستويات، مؤمن تقي، وكافر فاجر، ومسلم عاصي، المؤمن التقي يُحب من كل وجه شرعي، يبقى له نسبة المحبة والولاء بنسبة ما فيه من الخير مائة بالمائة، الراجل ده يعني ما فيش فيه ولا غلطة، مؤمن تقي، لم يظهر لي إلا ذلك، طيب كافر شقي يُبغض من كل وجه شرعًا، إحنا كده موضوع الطبع بره الحسابات، تمام كده ؟

طيب (خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا)؟ على قد الصالح هأحبه، وعلى قد الطالح هأكرهه، تمام؟ زي اللي كانت بتقول: أكرهه وإحبه، أكرهه وأحبه إيه إيه إيه؟ دي صحيحة، معلش ما هو ده شعر جاهلي معاصر، جاهلة معاصي مش جاهلة كفر، مش إحنا يجوز نستدل إحنا بجاهليات ما قبل المعلقات وكده، طيب إحنا ما مش هنفهم لو جبنا مثلا دليل في الغميق شوية ما حدش هيفهم حاجة، فخلينا من اللي على الوجه كده يعني، فينفع أن هي تكرهه وتحبه وتحبه وتكرهه؟ ده في باب الطبع مدرك.

يعني مثلاً نتكلم كلام حلو ينسيني كل الألم والقسى، يكشر في وجهي يكرهني في اليوم اللي إتولدت فيه، يعني بيغمقها جداً وبيفتحها جداً، هو بيقلب، يعني يبقى حلو قوي قوي يا يبقى ده ضالمة كحل، هو ده اللي كان بيضحك من شوية؟ أه، إيه اللي قلبه كده؟ طبع أطباع، إنسان متقلب المزاج طبيعته كده، فبقى فرحان به جداً جدًا هو سمبل ولطيف وجميل وظريف، وبقى قلقان وغضبان وزهقان، وإيه اللي قلبوا القلبة دي؟ ده موجود في الإنسان، ده بمقتضى الطبع في الشرع كده برضه، ما أنت ما أنتاش ماشي على الصراط المستقيم، بتعمل طاعة وتعمل معصية، وتعمل طاعتين وتعمل معصية، وتعمل طاعة وتأجل شوية وترجع للمعصية، وهي ماشية كده.

(خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا)، يبقى الجزاء من جنس العمل، من خَلَطَ خُلِطَ عليه، ومن صَفى صُفي له بس، ده كلام ابن الجوزي في قانون الموالاة؛ قال: من صَفَى صُفِي له، ومن خَلَط خُلِط عليه، يعني هتتعامل مع ربنا على نظيف هتأخذ محبة صافية، هتتعامل مع ربنا رجل بره ورجل جوه، مرة تُحب ومرة تُكره، (إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: (إني أحب فلانًا فأحبه)، فيحبه جبريل)، أوردر؟ أه، حاضر يا رب، حاضر، كده أهو؟ كده أهو،

((نادى جبريل إني أحب فلانًا فأحبه) فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه)، الله! كده هو! يعني هم ما شافوهش ولا يعرفوه وده غيب بالنسبة لهم ولا يعرفوه، أحبوا ده يحبوه، ما هي محبة إيه؟ شرع، محبة ولاء.

زي محبتك للإمام الشافعي ومالك وأبو حنيفة، هو أنت شفتهم؟ قابلتهم؟ تعرف حد من نسبهم؟ بتحبهم ليه؟ شرعًا، بتحب أم المؤمنين عائشة؟ أمهات المؤمنين؟ رضي الله تعالى عنهن كلهن ولا ما بتحبهمش؟ بحبهم، شوفتهم؟ لا، ولا هتشوفهم، أيوه حتى لما هتخش الجنة هتشوف نساء النبي ليه؟ دا بتوعه، مقصورات في الخيام عليه هو ما حدش يشوفهم، كل واحد نساؤه لوحده، ما فيش حد بيبصوا لنسوان بعض في الجنة والعملية ميغا، لا كل واحد حريم لوحده، فأنت مش هتشوفهم في الدنيا ولا في الآخرة، ومع ذلك بتحب أمهات المؤمنين ولو حد جاب سيرة عائشة بشر أنا ممكن أنط في كرشه وأخلص عليه، ما تستحملش، يعني ممكن أنت لو حد شتمك بأمك ما تبقاش بنفس الغيرة اللي يشتم أم المؤمنين عائشة، ده لو أنت إنسان فاهم يعني إيه أم المؤمنين، واضح ولا إيه؟

فهنا بيقول: ولا شك أن من أحب الكافرين على كفرهم أو حتى رضى بكفرهم وإن لم يحبه فهو كافر مثلهم، تمام كده؟ فإن الرضا بالكفر كفر، لأنه ردٌ لكتاب الله عز وجل، قال سبحانه: (ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا)، يبقى المسائل المتعلقة بالأديان والعقائد والأفكار، مش بالطول والعرض والوزن واللون والشطارة والمهارة أو القدرات الأرضية المدينة لأ مش كده خالص.

قال: وقد تبرأ حاطب بن أبي بلتعة كما تقدم من أن يكون فعل ما فعل رضاً بالكفر بعد الإسلام، رغم إن الموقف ملتبس، يعني ممكن يبقى كده وممكن يبقى كده، تجسس لصالح المشركين على جيش المسلمين بقيادة الرسول الأمين، المشهد ده يحتمل الكفر الأكبر ويحتمل الأمر الدنيوي الصِرف، فالظاهر منه أن يعني معسكر إيمان لا كفر فيه النبي والصحابة، ومعسكر كفر لا إيمان فيه قريش وجنودها وأتباعها وأشياعها من الوثنيين، فالدنيا واضحة، فعشان كده الصحابة قالوا :إزاي تبقى معنا وتشتغل ضدنا؟ إزاي تبقى معنا

وتتجسس علينا؟ أكيد كده أنت من جوه مش بتاعنا، نافق فلان، حتى هو إتهم نفسه بذلك، تمام؟ يعني إن هو زعلان من نفسه، لكن لما النبي ﷺ قال: (ما حملك على هذا؟) قال: والذي بعثك بالحق ما فعلت هذا سخطة لديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، ولكن الظروف حكمت، أنا راجل مش من قريش، أبو بكر له قرايبه وإخواته وأعمامه وأعمام أعمامه وولاد أعمامه ونسب طول بعرض، وعمر شرحه، وعبدالرحمن بن عوف زيه، وأنا راجل مقطوع من شجرة ما ليش حد، لو الفأس وقعت في الرأس وجيش الإسلام إتهزم، أهو العيال هيشيلهم أعمامهم، هيشيلهم أخوالهم بتوع أبو بكر وبتوع عمر، إنما عيالي هيروحوا فين؟ هيبقوا ملطشة، فقلت يعني أعمل جميلة في الكفار عشان لو مت ولا إنهزمنا كدولة إسلام يبقى ولادي لهم ظهر، يعني أنا بأعملها بزنس، تمام؟ فالأمر ده جريمة وكبيرة من الكبائر، ويستوجب الكفر إما حدًا وإما تعزيرًا على تفصيل بين الفقهاء رحمهم الله عز وجل، ولكن ليس ردة عن الإسلام، ولذلك النبي محمد ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: (وما يدريك يا ابن الخطاب أن الله إطلع على أهل بدر فقال: (إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))، طب سؤال: إعملوا ما شئتم حتى من الكفر فقد غفرت لكم؟ لأ، يبقى المشهد ده كفري ولا مش كفري؟ مش كفري، لإن النبي دخله في حتة (إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، يعني في عداد الذنوب، وإن كان في عداد الذنوب فذنوب أهل بدر مغفورة قبل أن تُفعل، يعني معهم يعني رصيد بكفاية، يكفيهم لو عَمَر كل واحد منهم عمر نوح على المعصية، إن طاعته في بدر ترجح بها كفته، اعمل اللي عايزه بعد كده، فانت لو أنت هتمشي معه بميزان الإعتدال، إوزن عمله في بدر وبميزانه عند الله اللي هو إعملوا ما شئتم، وأوزن جريمته دي إنها من جملة الذنوب، تعمل مع ايه؟ هذه مغفورة لحاطب بن أبي بلتعة عند الله ألا تُغفر لك؟ أو ألا تُغفر عندك؟ يعني هي ميزانها عند ربنا كده، ليه ميزانها عندك ما هوش كده؟ فالنبي بيقول للعمر؛ تجرد من عاطفتك، ما تخليش عاطفتك غلابة تهجمك أو تهجم عليك، لأ خلي شرعك هو اللي يحكمك، تمام كده؟

فهنا بيقول: فتبين بما ذكرنا بعد ما ذكر بقى الأدلة، قال: لمن يكون حب المؤمن؟ ولمن يكون بغضه؟ فالمؤمن كامل الإيمان يُحَب من كل وجه، والكافر يُبْغض من كل وجه،

والفاسق العاصي الذي عنده أصل الإيمان يُحَب لإيمانه ويُبْغض لفسقه وعصيانه، وبما تقدم يتبين لك بطلان الدعاوى المعاصرة التي تُنادي بمحبة أهل الأديان والمساواة بينهم.

يبقى واحد جعل كل محبة ولو طبعية للكفار كفرًا وده غلو، وواحد ثاني قال: لأ، كلنا ولاد حواء وآدم وكلنا ولاد تسعة، فنحب بعض يا جماعة ونعيش في السلام العالمي، ونعيش في جماعة نظرية الإنسانية، وكلنا زي بعض، فالمسلم يحب نصراني ويرضى بكفره، والكافر يحب المسلم ويرضى بإيمانه مع ثباته على كفره، وتبقى كده يعني، أو إحنا في النهاية نخلي مسألة الدين دي على جنب، دي دعاوى العلمانية، أهو ده قمة الجفاء في باب الولاء، إن هو فتح الباب على البحري لمحبة أعداء الله عز وجل وأعداء رسوله.

وإحنا بنقول اللي أنتم بتقولوه ده كلام كذب وكلام باطل، لإن لو كان أنتم يا أدعياء التعايش السلمي والسلام العالمي، لو إن احنا عاملين الكلام ده على من تبغضونه لمصالح دنيوية مش هترضوا، يعني واحد قتل أبوك وواحد هاتك مالك وواحد ظلمك حقك وواحد عطل ترتيبك على الدفعة وهو أفضل دكتور في الدنيا، أنت بمقتضى التعايش السلمي هتحبه؟ أنت بتاع التعايش السلمي هتحبه؟ لأ، إشمعنى في حقك أنت حطيت فواصل الولاء والبراء وفي حق ربنا شلتها؟ عشان كذاب دعي، عشان كذاب لإن اللي أنت بتقوله ده غير موجود، ما فيش بقعة في الأرض أبدًا يتعايش الناس بالمحبة الحقيقية القلبية الشرعية مع إختلاف الأديان والعقائد وصحة الولاء من كل واحد لدينه وعقيدته، مش ممكن أبدًا، إلا إذا كان الناس بيخرفوا بقى، لا ده عارف يعني إيه إسلام؟ ولا ده عارف يعني إيه كفر؟ وعمالين يلخبطوا مع بعض، هنا نقول ممكن في الهوسة دي نجد النتيجة دي، إنما مع وضوح الإيمان عند المؤمن ووضوح الكفر عند الكافر، ورضا المؤمن بدينه ورضا الكافر بباطله، إن هم يسلموا لبعض ويرضوا ببعض، ويشتروا من بعض، أقصد يعني يقبلوا إختلاف العقائد ده كلام مرفوض.

فيه فرق بين إن أنا اقره على باطله لضعفه وقوتي، وإن هو أقلية في دولتي، وبيني وبينه عقد ذمة أبدي تتوارثه الأجيال، وبيقول لي: أن أنا أكفل له حقوقه الفكرية كلها، وحقوقه

العقدية كلها، ويعيش في كنيسته ويقول اللي يقوله بعيد عني، لكن ما يجيش يلغوش على عقيدتي أنا وعلى ديني أنا في دولة الإسلام، غير مسموح له، جوه كنيستك خليك جوه، تمام؟

فإحنا بنقول المسائل دي لابد أن تُضبط وإلا باب الغلو وباب الإنحراف في هذا الباب من الخطورة بمكان.

يبقى هنا بيقول الشيخ في خاتمة الفصل؛ بيقول: وبما يتقدم أو بما تقدم يتبين لك بطلان الدعاوى المعاصرة التي تنادي بالمحبة لأهل الأديان والمساواة بينهم، وتعانق الهلال والصليب، وعبارة: الدين لله والوطن للجميع، وقد يسمي بعضهم أتباع الملل المختلفة بالنسبة إلى الرسل بإسم غريب كده، المؤمنين من أهل الأديان السماوية، تمام؟ وده طبعًا نوع من الغلو في التجهم، لإن الجامعة الجهمية عندهم الإيه؟ الإيمان هو المعرفة، فتبقى معرفة نصرانية، معرفة يهودية، معرفة زرادشتية بوذية، معرفة وثنية، معرفة هندوسية هندوكية عادي، معرفة والسلام، تمام؟ فهما دول أصلًا يعني هي أفكار جهمية وتطورت يعني عند الجماعة اللي هم، أو أخذها أعداء الإسلام من أدعياء العلمانية والتعايش السلمي وغيره وزخرفوها للناس بالقول.

نسأل الله عز وجل أن يكف عن المسلمين شر هذه الدعاوى وشر أصحابها.

كده هناخد فاصل ونكمل بقية حلقاتنا في الليلة أن شاء الله.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً